" ما كاد "

بين نفي المُقارَبة ومُقارَبة النفي

إعداد

د. سائدة عمر عبدالله العيص

أستاذ مساعد

جامعة حائل

الملخص

يتناول هذا البحث " كاد" وهو أحد أفعال المقاربة ، من حيث إشكالية دلالته على نفي مضمون خبره أو إثباته ، في ما بين العلماء ؛ معجميين ونحاة ومفسرين . الذين تعددت مذاهبهم في الحكم على "كاد" ؛ ففريق ذهب إلى أنها فعل كسائر الأفعال ، إثباتها إثبات ، ونفيها نفي . وفريق ثانٍ رأى أنها ليست كسائر الأفعال ؛ فإثباتها نفي ، ونفيها إثبات . وفريق ثالث مال إلى أن "كاد" لا تتضمن دلالة على الإثبات ، أوعلى النفي ، والأمر في إنجلاء المعنى فيها يُعوّل فيه على القرينة . وسعيًا وراء الوقوف على أثرهذا التباين بين العلماء في تفسير بعض الآيات القرآنية الوارد فيها هذا الفعل ، مثبتًا ومنفيا ، فقد تناول البحث آيتين كريمتين مستعرضًا وجوه التفسير فيهما . ثم توقف عند دور القرينة في الإبانة عن دلالة " كاد " وإماطة اللبس عنها .

وكان مما خلص إليه البحث أنّ لـ (كاد) دلالة مركزية هي: المقاربة المتضمنة نفي خبرها . ولـ (كاد)المنفية دلالة مركزية هي: نفي المقاربة، ودلالة ثانوية هي : مقاربة النفي.

وقد تخضع دلالة (كاد) - أحيانًا - للقرينة في توجيه معناها من حيث إثبات مضمون خبرها. وتبقى دلالة (كاد) المنفية مرشحة لنفي مضمونها أو إثباته ، ما لم تتوافر قرينة تحسم أمر المعنى، وتوجهه. ولذا فقد يبدو أنه من الصعب التضييق على (كاد) وبخاصة المنفية ، إذ إنّ أغلب اللبس يقع فيها ، وحصرها في نفي المقاربة . ولا ضير أن نوسع دائرتها بحسب ما يقتضيه توجيه القرينة لها، أو معطيات سياق الحال ، ومقتضيات المحيط الخارجي للغة .

The title: “ almost" which is “ Kada” in Arabic and its negative Functions

The Summary :

This research deals with "almost" , and weather it denies its subject or approves it , and this is a common issue between most of the linguistics . Some say that it is like any other verb when it approves , it does and when it denies , it does . While other think it was not like the other verbs ; it’s vice versa . Finally , the third team that "almost" does not include an indication of the evidence, or denial , so we should count on the context clue . Therefore , in the research I discuss the role of “almost” depending in the context clue in two verses .And it was concluded that (almost) has central significance regarding the disapproval for its subject .

So it would seem that it is difficult to crack down on “ almost “, especially when it comes to its negative functions so the best way is to depend on the context clues.

.

المقدمة :

" كاد " فعل شغل العلماء ، نحاة ومفسرين ، وألبس عليهم في كثير من مواضعه ، سواء في النص القرآني ، أو في النصوص الشعرية والنثرية .

ويندرج هذا الفعل تحت أفعال المقاربة ، الناسخة للابتداء ، إلى جانب (كرب) و(أوشك) و(هلهل) و (أولى) و(ألمّ) ، التي تعمل عمل (كان) من حيث رفع اسمها ، ونصب خبرها.

وقد أجمع العلماء على أن " كاد " فعل يدل على المقاربة، نحو : " كاد النعامُ أن يطيرَ " . إلى جانب دلالات أخرى ذكرها بعضهم ، كأن يكون بمعنى " أراد " أو بمعنى " أيقن ".

أمّا الإشكالية بين العلماء في هذا الفعل الدال على المقاربة ، فقد دارت في جانب منها حول : هل يتضمن هذا الفعل بحد ذاته ، دلالة على تحقق مضمون خبره أو عدم تحققه، أم لا يتضمن ؟

تباينت المذاهب في الإجابة عن هذا السؤال ؛ فبين قائل أن دلالة المقاربة تتضمن النفي في مضمون الخبر، سواء أكانت المقاربة مثبتة أم منفية . إذ إنّ " كاد " كغيرها من الأفعال :" إثباتها إثبات ، ونفيها نفي " فإثباتها إثبات للقرب، ونفيها نفي للقرب، وعليه تظل دلالة القرب تتضمن عدم التحقق في مضمون الخبر في كلا الحالتين .

وقائل أن دلالة المقاربة لا تتضمن نفي مضمون الخبر أو إثباته ، وتُقصر دلالة " كاد " على المقاربة فحسب .وإنما تستفاد معرفة وقوع مضمون الخبر أو عدم وقوعه من القرينة الدالة، على وفق ما تقتضيه الحال .

وقائل آخر رأى أن المقاربة المثبتة تتضمن نفي مضمون الخبر ، والمقاربة المنفية تتضمن إثبات مضمون الخبر .معتبرًا أن لـ " كاد " استعمالًا خاصّا " فإثباتها نفي ، ونفيها إثبات " وليست كسائر الأفعال.

وانطلاقاما تقدمت الإشارة إليه فقد هدف البحث إلى الوقوف على هذه الإشكالية في " كاد " ومذاهب العلماء فيها ، والوقوف أيضًا ،على أثر تباين هذه المذاهب في تفسير بعض الآيات القرآنية ، وتوجيه معناها. ثم محاولة الوصول إلى قولٍ في " كاد " يرى أن لها دلالة مركزية هي نفي مضمون خبرها ، ودلالة ثانوية هي إثبات مضمون خبرها . ورمى كذلك إلى بيان أثر القرائن في الإبانة عن دلالة " كاد " ، وإماطة ما يكتنفها من لبس في الاستعمال والفهم في بعض المواضع.

وقد كان المنهج الوصفي التحليلي هو المعوّل عليه في بناء هذا البحث ، الذي اندرج في ثلاثة مباحث بعد المقدمةوالمدخل؛المبحث الأول:دلالة"كاد"وفيه عنوانان: هما دلالة " كاد"عند المعجميين،ودلالة " كاد " عند النحويين.والمبحث الثاني تناول الاختلاف في دلالة"كاد"مثبتة ومنفية،وأثره في التفسير.وفيه عرض لآيتين ؛ واحدة مثال على " كاد " المثبتة ، وثانية مثال على " كاد " المنفية . والمبحث الثالث تناول دور القرينة في توجيه دلالة " كاد".ثم جاءت خاتمة البحث مدرجا فيها ما خلص إليه البحث ، وما اقترحه .

التمهيد:

مـن طريـف مـا نُظـم بشـأن " كـاد" التـي حيـرت اللغـويين والمفسـرين والشعراء، في غموض دلالتها ، أو ربما في مرونتها إن جاز التعبير ، من حيث تضـمنها دلالتين متضـادتين ، واسـتيعابها، أحيانًـا ، معـاني متباينـة ، وتـأويلات متعددة في الموضع الواحد ، سواء في آي الذكر الحكيم ، أو فـي الشـعر والنثر، قولُ المعرّي مُلغزًا[1] :

أنَحْوِيّ هذا العصرِ ما هي لفظة

جَرَتْ في لسانَي جُرهم وثمودِ

إذا استُعملت في صورةِ الجَحْدِ أثْبَتَتْ

وإنْ أثْبَتَتْ قامتْ مَقامَ جُحودِ

وإجابةُ ابن مالك عن سؤاله هذا قائلًا[2]:

نَعَم هي كاد المرْءُ أنْ يَرِدَ الحِمَى

فتأتي لإثباتٍ بنفي ورودِ

وفي عَكْسِها ما كادَ أنْ يَرِدَ الحِمَى

فَخُذْ نظْمَها فالعلمُ غيرُ بعيدِ

والمعري فـي نظمـه هذا هـو ممـن يـرى أن " كـاد " ليسـت كغيرهـا مـن الأفعال ، بل لها استعمال خاص ؛ فنفيها إثبات ، وإثباتها نفي . وإجابة ابن مالك له تشير إلـى اتفاقه معـه ، وإن كـان ابـن مالـك يفتح دلالـة " كـاد " المنفيـة علـى احتمالات عدة سيأتي ذكرها بإذن الله تعالى،عند تناول " كاد" المنفية.

وما يستوقف المرء هنا هو إشارة المعري إلى الاستعمال القديم لـ " كاد " عند جرهم وثمود. فهل تُعزى هذه الإشكالية فـي دلالـة " كـاد" وفـي استعمالها إلى تطورٍ ما لحق بها على مرِّ السنين ، أم إلـى أنّ الـدلالتين : (إثباتهـا إثبـات ، ونفيها نفي) و(إثباتها نفي ، ونفيها إثبات) كلتيهما كان الاستعمال جاريًـا بهمـا في لساني جرهم وثمود ، ثم عندما جاء النحاة أصلوا لواحدة من الـدلالتين وهـي (إثباتها إثبات ، ونفيها نفي) علـى اعتبـار أنّ " كـاد " كسـائر الأفعـال ، وبقيـت دلالتهـا فـي أنّ (إثباتهـا نفـي ، ونفيهـا إثبـات) قائمـة فـي نفـوس العـرب ، وفـي

---

[1] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت مؤسسة الرسالة ،١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م، ج٤، ص٢٤٦ .

[2] المصدر السابق ، ج٤، ص٢٤٧ .

عرفهم ، وظل استعمالهم جاريًا بها ، فكان هذا منشأ اللبس والغموض في " كاد " وما تنطوي عليه من الدلالة ؟

ومما يسترعي الانتباه ، ويستدعي النظر، أن هذا الغموض في دلالة " كاد " المنفية ما زال يربك الناس إلى يومنا هذا ، فأنت إذا سألت أحدهم علام يدل قولنا مثلا: (عامرٌ لا يكادُ يعرفُ أبناءَ عمومتِه) ، هل يدل على أن عامرًا يعرف أبناء عمومته ، أم أنه لا يعرفهم ؟ فسريعا ما تلحظ أن المسوؤل تعتريه الحيرة ، ويتأنى في الإجابة ، ثم يعطيها مترددًا ،وغير واثق منها تمامًا.

المبحث الأول
دلالة "كاد"

١- دلالة " كاد"عند المعجميين :

أورد أصحاب المعاجم لـ " كاد " ثلاثة معانٍ :

أولها: أنها بمعنى قرب ؛ فقد جاء في اللسان : (كاد كَوْدًا ومَكادَة : همّ وقارب ولم يفعل) [١]

وفي مقاييس اللغة : الكاف والواو والدال كلمة كأنها تدل على التماس شيء ببعض العناء ، ويقولون : كاد يكاد كودًا ، ويقولون لمن يطلب منك الشيء ، فلا تريد إعطاءه : لا ولا مكادة ، أي لا أهمّ ، ولا أكاد ، فأما قولهم في المقاربة : كاد فمعناها قارب[٢] . وفي القاموس المحيط جاء (الكَوْد المنع ، وكاد يفعل ، وكِيد كوْدًا ومكادة : قارب ولم يفعل)[٣] وفي التاج جاء (وكاد يفعل كذا ، قارب وهمَّ)[٤]

وثانيها: إنها بمعنى أراد : وفيه يقول ابن منظور(ت٧١١هـ) : (بلغوا الأمر الذي كادوا ، يريد : طلبوا أو أرادوا ، وأورد قول الأفوه :

فإن تُجمع أوتاد وأعمدة

وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

أراد الذي أرادوا)[٥] .

وتحت مادة (كود) في اللسان جاء : قال بعضهم في قوله تعالى : (إنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى.١٥/ طه) أريد أخفيها، فكما جاز أن توضع أريد موضع أكاد في قوله تعالى (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُأَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ، ٧٧/الكهف) فكذلك أكاد [٦]

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، (كود) ج١٣،ص١٣٠.

[٢] انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٦م، (كود) ج١٥ ،ص١٤٥.

[٣] الفيروزبادي، القاموس المحيط ،بيروت مؤسسة الرسالة (كود) ص٤٠٣.

[٤] الزبيدي ، تاج العروس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣١١ هـ -١٩٧١م (كيد) ج ٩، ص١٢٣.

[٥] ابن منظور ، ج١٣ ،ص ١٤٢ .

[٦] انظر المصدر السابق ، لسان العرب ، دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، مادة (كيد) ص ٣٨٣.

وثالثها :اليقين : فمما نسبه ابن منظور(ت ٧١١هـ) للفراء(ت ٢٠٧هـ) قوله : (العرب تقول : ما كدت أبلغ إليك ، وأنت قد بلغت ؛ قال وهذا وجه من العربية ، ومن العرب من يدخل كاد ويكاد في اليقين أصله الشك ثم يجعل يقينا)[١]

وفي ضبط كاف (كاد) يقول ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ):(وأكثر العرب على كِدْت ، ومنهم من يقول كُدْت)[٢]

دلالة (كاد) عند النحويين :

وقبل الخوض في تبيان مذاهب النحويين في دلالة "كاد" تجدر الإشارة إلى أنّ (كاد) تستعمل لمقاربة حصول الفعل ، أي قارب الحصول ولم يحصل، تقول : (كاد الصياد يغرق) أي : أشرف عليه ، وهي أقرب من (عسى) إلى الحصول ، (ألا ترى أنك لا تقول : كاد زيد يدخل المدينة ، إلا وقد شارفها ، وقد يجوز أن تقول : عسى زيد أن يحج ، وهو لم يبرح من منزله)[٣].

ولا تستعمل (كاد) على أصل الوضع من حيث إن معناها (قرب) فلا يقال : كاد زيد من الفعل[٤] كما يقال مثلا : قارب العمل على الانتهاء.

وقد تباينت مذاهب النحويين في دلالة (كاد) ،من حيث الإثبات والنفي ، ولعل هذا التباين في بعض مواضعه مرده إلى الجانب الذي نظر فيه النحوي لـ (كاد) ؛وهم في ذلك على ثلاثة فرقاء: الفريق الأول : نظر إلى الفعل (كاد) نفسه ، وجعله هو محور الإثبات أو النفي ،أي أنه كسائر الأفعال إثباته إثبات ، ونفيه نفي ، فـ (كاد) مثبتًا يفيد القرب ، أو شدة القرب كما ورد التعبير عند بعض النحاة ، من مضمون خبره ، وبالتالي عدم وقوع المضمون ، كما ذكر الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) في تناوله لأفعال المقاربة ومشيرا إلى كاد : (ومنها ما قرب من التلبس بالفعل ولم يفعل ، لكنه على تهيئة أن يفعل)[٥]. و(كاد) منفيًا يفيد عدم القرب من مضمون خبره ، وبالتالي عدم وقوعه أيضًا . وفي هذا يقول السيوطي (ت ٩١١هـ) : (والتحقيق أنها كسائر الأفعال نفيها نفي ،

---

[١] المصدر السابق ،(كيد) ص ٣٨٣.

[٢] ابن القوطية ،أبو بكر محمد بن عمر ، كتاب الأفعال لابن القوطية ، تحقيق على فودة ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ -٢٠٠١م، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص ٢٢٩ ،وانظر ابن يعيش ، موفق الدين يعيش ، شرح المفصل ، طبعة إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ج ٧ ، ص ١٢٤.

[٣] الزجاجي ،أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق ، الجمل ،ط ٢ ، ١٩٥٧ – ١٣٧٦ هـ ، مطبعة كلنكسيك ،١١شارع ليل ، ص ٢١٠.

[٤] انظر الرضي الاستراباذي ، محمد بن الحسن رضي الدين ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق د . يحيى بشير المصري الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦ م ، القسم الثاني ،ج ٢، ص ١٠٧٧.

[٥] الشاطبي ، أبو إسحاق بن موسى ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق محمد إبراهيم باشا ،الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، مكة المكرمة .

وإثباتها إثبات ، إلا أن معناها : المقاربة لا وقوع الفعل ، فنفيها نفي لمقاربة الفعل ، ويلزم من نفي الفعل ضرورة ، أنّ من لم يقارب الفعل لم يقع منه الفعل . وإثباتها إثبات لمقاربة الفعل ، ولا يلزم من مقاربة الفعل وقوعه . فقولك : كاد زيد يقوم ، معناه قارب القيام ولم يقم ، ومنه (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ)(٣٥ /الطور) أي قارب الإضاءة ، إلا أنه لم يضيء. وقولك : لم يكد زيد يقوم ، معناه : لم يقارب القيام ، فضلا عن أن يصدر منه . ومنه (أي لم يقارب أن يراها فضلا عن أن يرى)[١] . وعليه فـ (كاد) سواء أكانت مثبتة أم منفية فمضمونها غير واقع عندهم .

والفريق الثاني ، نظر إلى ما بعد (كاد) أي إلى مضمون خبره ،ورأى أنّ إثباته نفي ، ونفيه إثبات ، معتبرًا أن (كاد) هو فعل يأتي للدلالة على المقاربة فحسب ، ولا يتضمن ،بحد ذات، دلالة إثبات أو نفي لمضمون خبره ، بل إن دخله النفي ، فإنما النفي داخل على مضمون خبره ، لا عليه . فقولنا مثلًا : (زيدُ لا يكاد يفهم ما يقرأ) هي على تقدير : (زيدٌ يكاد لا يفهم ما يقرأ)، أي يقترب من عدم الفهم ، وعليه فهو يفهم .

ومنهم مثلا ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) حين يقول في (كاد) المثبتة :(فكاد هذه إذا استعملت بلفظ الإيجاب كان الفعل بعدها غير واقع)[٢]. ويعلق الرضي (ت٦٨٦هـ) على مذهبهم هذا في (كاد) المثبتة قائلًا : (إن أرادوا أن إثبات كاد دال على نفي مضمون خبرها ، فهو صحيح وحقٌّ ، لأن قربك من الفعل لا يكون إلا مع انتفاء الفعل منك ، إذ لو حصل منك الفعل لكنت آخذا في الفعل ، لا قريبًا منه)[٣]

أمّا مذهبهم في (كاد) المنفية التي تفيد الإثبات عندهم ، فقد تباين التعليل في ما بينهم بشأن هذه الدلالة. فالعلة عند ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) أن (كاد) تنحصر دلالتها في إفادة القرب في الخبر ، فحسب ، كما أن (كان) تدخل لإفادة الزمان في الخبر.ففي تناوله للآية الكريمة (إذا أخرج يده لم يكد يراها) يقول: (وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل الذي بعدها قد وقع ، هذا مقتضى

---

[١] السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،تحقيق أحمد شمس الدين ،ط (١) ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ١ ، ص ٤٢٤ ، وانظر أبو عبيدة ،معمر بن المثنى البصري، مجاز القرآن ، تحقيق فؤاد سزكين ، ط (١) ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة ، بيروت ج، ٢، ص ٦٧ ، والمبرد ،أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب ، تحقيق عبد الخالق عضيمة، جمهورية مصر ، وزارة الأوقاف، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. ج ٣، ص٧٥ ،والموصلي ، عبد العزيز بن جمعة، شرح كافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق د. علي الشوملي، دار الأمل الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ ،ج٢ ، ص٥٨١.

[٢] ابن يعيش ، ج ٧ ، ص ١٢٥.

[٣] الرضي ، القسم الثاني ،ج ٢ ، ص ١٠٨٢.

اللفظ وعليه المعنى ، والقاطع في هذا قوله تعالى :(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)(٧١ / البقرة) وقد فعلوا الذبح..... وعلة ذلك أن (كاد) دخلت لإفادة معنى المقاربة في الخبر، كما دخلت (كان) لإفادة الزمان في الخبر، فإذا دخل النفي على (كاد) قبلها كان أو بعدها لم يكن إلا لنفي الخبر، كأنك قلت : إذا أخرج يده يكاد لا يراها)[١] ، فالمعنى عنده : (أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها)[٢].

وابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) في رأيه هذا يتفق مع ما رآه العكبري (ت ٦١٦هـ) حين يقول : (وإن كانت منفية فهو واقع في الحقيقة ، كقولك : لم يكد يقوم ؛ لأن المعنى قارب ترك القيام)[٣] وفي قوله تعالى : (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)(٤٠/ النور) فهي عنده على أنه (رآها بعد اليأس من ذلك ، وهذا أشبه بالمعنى واللفظ)[٤]

ويتفق ابن عاشور(ت ١٣٩٣هـ) مع هذا الفريق في دلالة (كاد) المنفية على الإثبات ، ولكن بتعليل آخر، مخمنا أن يكون ذلك بتأثير استعمالٍ لبقايا لغة قديمة ، تقدم حرف النفي الذي حقه التأخير ، يقول فيه : (وعندي أنّ الحقّ هو المذهب الثاني ، وهو أنّ نفيها بمعنى الإثبات ، وذلك لأنهم لما وجدوها في حالة الإثبات مفيدة معنى النفي جعلوا نفيها بالعكس ، كما فعلوا في لو ولولا ، ويشهد لذلك مواضع استعمال نفيها ، فإنك تجد جميعها بمعنى مقاربة النفي لا نفي المقاربة ، ولعل ذلك من قبيل القلب المطرد ، فيكون قولهم ما كاد يفعل ولم يكد يفعل بمعنى كاد ما يفعل ، ولا يبعد أن يكون هذا الاستعمال من بقايا لغة قديمة من العربية تجعل حرف النفي الذي حقّه التأخير مقدّمًا ، ولعل هذا الذي أشار إليه المعري* بقوله جرت في لساني جرهم وثمود)[٥]

ولا يستبعد أن يكون تعليل ابن عاشورصحيحا من حيث إن هذا الاستعمال ما زال أثره باقيا في نفوس العرب ، حين نجد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) يشير أن هذا الاستعمال قد جرى العرف فيه ، يقول : (واعلم أنّ سبب الشبهة في ذلك أنه قد جرى العرف أن يقال : ما كاد يفعل ، ولم يكد يفعل : في فعلٍ قد فعل

---

[١] ابن يعيش ، ج ٧ ، ص ١٢٥.

[٢] المصدر السابق ، ج ٧، ص ١٢٥.

[٣] العكبري ، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين البغدادي، اللباب في علل البناء والإعراب ، تحقيق محمد عثمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م ، مكتبة الثقافة الدينية . ص ١٤٢.

[٤] المصدر السابق ، ص ١٤٢.

*سبقت الإشارة إلى بيتي المعري ص ٤ من هذا البحث .

[٥] ابن عاشور ، محمد بن الطاهر ، التحرير والتنوير ،دار سحنون ، ج ١ ، ص ٥٥٩ ..

على معنى انّه لم يفعل إلّا بعد الجهد ، وبعد أن كان بعيدًا في الظنّ أن يفعله)[1] . واحسب أن هذا العرف ما زال الاستعمال جاريًا به إلى يومنا هذا ، فتأمل أمثلة من هذا النحو دارجًا استعمالها أو تداولها بيننا : (ما كدت أذوق النوم منذ شهر) فلا يعقل أنه لم ينم على الإطلاق شهرا كاملًا. و(ما كدت أعرفك يا بنيّ بهذا الزي) فالسياق الخطابي يؤكد أنها عرفت ابنها. و (ما تكاد تكف عن البكاء منذ وفاة أبيها) ، وكذلك لا بد من فترات انقطاع عن البكاء ، طالت أم قصرت ، فلا أحد يبكي بكاء متواصلا أياما أو شهورًا أو سنوات . و (لا يكاد يجد اللقمة في هذا المنفى) فمهما بلغت الشدة والفقر والحرمان بالإنسان فهو واجد اللقمة ، وإن كانت بصعوبة ومشقة .

إلا أن الرضي(ت٦٨٦هـ) يرفض مذهب الفريق الثاني في (كاد) المنفية، ولا يلتفت إلى تأويلهم وتعليلهم، فيقول : (وأمّا كون نفيه إثباتًا فنقول ، أيضًا : إن قصدوا أنّ نفي الكود أي القرب في : ما كدت أقوم : إثبات لذلك المضمون ، فهو من أفحش الغلط ، وكيف يكون نفي الشيء إثباته ، وكذا إن أرادوا أنّ نفي القرب من مضمون الخبر إثبات لذلك المضون ، بل هو أفحش ، لأنّ نفي القرب من الفعل أبلغ في انتفاء ذلك الفعل نفسه)[2]

وفريق ثالث فتح الباب لـ (كاد) المنفية على الدلالتين ، فهذا الفراء يصرح في تناوله لقوله تعالى : (يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ) (١٧ / إبراهيم) بقوله :(فهو يسيغه ، والعرب قد تجعل (لا يكاد) فيما قد فعل وفيما لم يفعل ، فأما ما قد فعل فهو بيّن هنا ، من ذلك أن الله عزّ وجلّ يقول لما جعله لهم طعامًا : (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥)(الدخان) فهو أيضًا عذاب في بطونهم يسيغونه . وأما ما دخلت فيه (كاد) ولم يفعل فقولك في الكلام (ما أتيته ولا كدت)، وقول الله عزّ وجلّ في النور(إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)(٤٠ /النور) فهذا عندنا والله أعلم أنه يراها)[3]

وعند ابن مالك (ت ٨٢٠هـ) في التسهيل نجده كذلك قد قبل في (كاد) المنفية الدلالتين ؛ وقوع مضمون خبرها ، وعدم وقوعه، فيقول : (وتنفى كاد إعلامًا بوقوع الفعل عسيرًا ، أو بعدمه ، وعدم مقاربته)[4] ، وفي البحر

---

[1] الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه د . محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م ، ص ١٨٧.

[2] الرضي ، القسم الثاني ، ج ٢ ،ص ١٠٨٢.

[3] الفراء ،أبو زكريا يحي بن زياد ، معاني القرآن ، دار عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ج ٢ ، ص ٧١ - ٧٢.

[4] ابن مالك ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبدالله ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد،تحقيق محمد كامل بركات ، الناشر دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ص.

المحيط جاء :(وقال ابن عطية ما معناه : إذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته ، نحو كاد زيد لا يقوم ، أو مثبتًا دلّ على نفيه كاد زيد يقوم ، وإذا تقدم النفي على كاد احتمل أن يكون منفيا ، تقول : المفلوج لا يكاد يسكن ، فهذا تضمن نفي السكون .وتقول: رجل منصرف لا يكاد يسكن، فهذا تضمن إيجاب السكون بعد جهد ، انتهى) [1]

وهناك من النحاة المحدثين من يؤيد الفريق الثاني في ما يراه في (كاد) المنفية ،وذلك من خلال ترجيحه لرأي ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، المشار إليه في ما سبق ، فيقول : (والذي يبدو لي أن الذي ذكره ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) أرجح بدلالة قوله : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)(٥٢ / الزخرف) وهذا الكلام على لسان فرعون في موسى عليه السلام ، ولا شكّ أنّ موسى كان يبين بدلالة المحاجات المتعددة التي يذكرها القرآن مع فرعون . ولو ذهبنا إلى الرأي الأول لكان عليه السلام أبكم لا يبين ، ولا يقارب الإبانة . ويدلّ على ذلك أيضًا قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا٩٥)(الكهف) وهذه المحاورة تدل على أنهم يفقهون ولكن بصعوبة ، وليس معنى الآية (لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أنهم لا يفقهون ولا يقاربون الفقه ، وإلا فما هذا الكلام والمحاورة بينهما ؟) [2].
ولكن الجواب عن هذا عند المفسرين من وجهين :
الأول : أن فرعون أراد بقوله (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ، ولم يرد أنه لا قدرة له على الكلام.
والثاني : أنه عابه بما كان عليه أولا ، وذلك أن موسى كان عند فرعون زمانا طويلا وفي لسانه حبسة ، فنسبه فرعون إلى ما عهده عليه من الرتة، لأنه لم يعلم أن الله تعالى أزال ذلك العيب عنه [3].

إلا أن السامرائي لا ينفي احتمالية عدم وقوع مضمون خبر (كاد) المنفية، وهو في هذا يتفق والفراء وابن مالك في رأيهما المشار إليه سابقًا في (كاد) المنفية ، لكنه يرجح أن دلالة وقوع مضمون الخبر في (كاد المنفية) هي الأصل ، وقد تقبل دلالة (كاد) المنفية على عدم وقوع مضمونها، وذلك بتوافر القرينة الداعمة لعدم الوقوع . فيقول : (ويمكن الجمع بين الرأيين بالقول إنّ الأصل ما ذكرناه ، ويمكن أن يراد المعنى الأول بالقرائن ، وذلك كقوله تعالى :

---

[1] أبو حيان ، أثير الدين بن يوسف ، البحر المحيط ، دار إحياء التراث،ج ٦ ، ص ٤٦٠.
[2] فاضل السامرائي ، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ، ج ١ ، ص ٢٧٩.
[3] الرازي ، فخر الدين أبو عبدالله ، محمد بن عمر بن حسين القرشي، التفسير الكبير ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م درا الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٢٢ ، ص١٨٩.

(إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) (٤٠/ النور) وقوله : (يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ) (١٧ / إبراهيم) فإنّ هاتين الآيتين يمكن حملهما على الوجه الأول ، كما يمكن حملهما على الوجه الذي رجحناه)[١]

وقد درج بعض النحاة والمفسرين في تعدادهم لدلالات (كاد) المنفية أن يفردوا لها دلالة ثالثة ، بعد الدلالتين : (إثباتها إثبات ، ونفيها نفي) و(إثباتها نفي ، ونفيها إثبات)، وهي دلالتها على وقوع مضمون خبرها بعسر[٢]. وفي الحقيقة قد لا يكون هذا الإفراد من الضرورة بمكان ، من باب أنّ هذه الدلالة مذكورة ومشار إليها في الحديث عن دلالة (كاد) المنفية عند من ذهب إلى أنها - أي (كاد) المنفية - تفيد وقوع مضمون خبرها بعسر[٣].

وربما خروجا من هذه الإشكالية في (كاد) المنفية رأى بعض النحويين أن يفرق بين (كاد) بصيغة الماضي وبين (يكاد) بصيغة المضارع . فقالوا: (نفي الماضي إثبات بدليل قوله تعالى (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)(٧١ / البقرة) وقد فعلوا . وقالوا : (نفي المضارع نفي بدليل قوله تعالى : (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) (٤٠/ النور) وهو لا يراها [٤]. وسوف يقف البحث بشيء من التفصيل مع ثماني رؤى للعلماء في تفسير هذه الآية الكريمة .

أما الردعلى من احتج بقوله (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ) (٧١ /البقرة) على أن نفي الماضي في كاد إثبات ، فيَرِدُعند ابن هشام (ت٧٦١هـ) حين يوضح :(وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ) مع أنهم فعلوا ، المراد بالفعل الذبح ، وقد قال تعالى (فَذَبَحُوهَا) فالجواب أنه إخبار عن حالهم في أول الأمر ، فإنهم كانوا بعداء عن ذبحها ، بدليل ما يتلى علينا من تعنتهم ، وتكرار سؤالهم ، ولما كثر استعمال مثل هذا فيمن انتفت منه مقاربة الفعل ، ثم فعله بعد ذلك ، توهم من توهم أنّ هذا الفعل بعينه هو الدال على حصول ذلك الفعل بعينه ، وليس كذلك ، وإنما فهم حصول الفعل من دليل آخر، كما فهم من الآية من قوله تعالى : فَذَبَحُوهَا)[٥]

وإلى هذا يذهب الرضي (ت٦٨٦هـ) بقوله : (ولا تنافي بين انتفاء الشيء في وقت وثبوته في وقت آخر ، وإنما التناقض بين ثبوت الشيء وانتفائه

---

[١] فاضل السامرائي ، ج ١ ، ص ٢٧٩.

[٢] انظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، تحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة ، بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ج٤،ص ١٢٠، وانظر السيوطي ، ج ١، ص ٤٢٤.

[٣] انظر ابن يعيش ، ص ١٢٥.

[٤] انظر الرضي ، القسم الثاني، ص ١٠٨٥ ، والزركشي ، ج ٤، ص ١٢٠ .

[٥] ابن هشام ، أبو محمد ، الأنصاري المصري، مغني اللبيب ، تحقيق مازن مبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دمشق – دار الفكر ١٩٦٩ م ، ص٧٣٨.

في وقت واحد، فلا يكون، إذن ، نفي كاد مفيدًا لنفي مضمون خبره، بل المفيد لثبوته تلك القرينة ، فإن حصلت قرينة هكذا،قلنا بثبوت مضمون خبر كاد ، بعد انتفائه ، كما في قوله تعالى:(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)(٧١/ البقرة) أي ما كادوا يذبحون قبل ذبحهم ، وما قربوا منه ، إشارة إلى ما سبق من تعنتهم قبل ذلك)[١]

وفريق رابع قد أفرغ (كاد) من دلالتها ، وعطل وظيفتها في إفادة القرب ، حين رأى بأنها قد تكون زائدة ، ومنهم الأخفش[٢]، والشريف الرضي [٣]، وتبعهما فريق من اللغويين [٤] ، مستدلين على زيادتها بقوله تعالى : (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)(٤٠/النور) فالكلام عندهم على النفي المحض ، أي لم يرها أصلا ، لأنّ هذه الظلمات تحول بين العين وبين النظر إلى سائر البدن [٥]. وعارض هذا الرأي آخرون منهم ابن مالك مصرحا بأن (كاد لا تزاد)[٦]وأبو حيان إذ يقول : (وقول من اعتقد زيادة (يكد) أو أنه يراها بعد عسر ليس بصحيح)[٧].

---

[١] الرضي ، القسم الثاني ، ج ٢، ص ، ١٠٨٢.
[٢] انظر الرضي ، القسم الثاني ، ج٢ ، ص ١٠٨٥.
[٣] انظر الزركشي ،ج ٤ ، ص١٢١.
[٤] انظر أبا حيان ، البحر المحيط ج ٦ ،ص ٢٣٣ ، وص ٤٦٢.
[٥] انظر الزركشي ، ج ٤ ، ص١٢٢.
[٦] ابن مالك ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص ٦٠.
[٧] أبو حيان ، ج ٦ ، ص ٤٦٢.

المبحث الثاني
الاختلاف في دلالة (كاد) مثبتة ومنفية، وأثره في تفسير بعض الآيات وتوجيهها

وسيتناول البحث آية (إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا(١٥/ طه) مثالًا على (كاد) المثبتة ، ثم آية (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا(٤٠ /النور) مثالا على (كاد) المنفية .مبينا مذاهب المفسرين في توجيه دلالة " كاد " فيهما،والمعاني التي حملت عليها كلٌّ من الآيتين الكريمتين .

١- قال تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى(١٥/ طه)

لو أردنا أن نحمل معنى هذه الآية الكريمة على وفق ما ذهب إليه النحاة في دلالة (كاد) من حيث إنها تفيد نفي مضمون خبرها ، كانت المحصلة أن الساعة ظاهرة ، لا مخفية ، وهذا مما لا يستوي والحقيقة الإيمانية المعروفة، فالساعة مخفية .

وقد قالوا في هذه الاية الكريمة : هي (آية مشكلة)[١] ، وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) : (ولما كانت الساعة مخفية الوقوع ، أي مخفية الوقت ، كان قوله (أَكَادُ أُخْفِيهَا) غير واضح المقصود ، فاختلفوا في تفسيره على وجوه كثيرة) وأضاف : (وهذه الآية من غرائب استعمال كاد فيضم إلى استعمال نفيها في قول :(وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ) في سورة البقرة)[٢].

ولقد استطاعت هذه الآية (أَكَادُ أُخْفِيهَا) أن تستوعب ثمانيًا من التفسيرات والرؤى لعلمائنا الأجلاء، انطلاقًا من تباين النظرة لدلالة (كاد)، وما بعدها ، هي :

أولًا : أي : قرب الأمر فيه من الإخفاء، وأما الجزم بحصول ذلك الإخفاء أو عدم حصوله ، فذلك غير مستفاد من لفظ (كاد) بل من قرينة قوله تعالى : (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) فإن ذلك إنما يليق بالإخفاء لا بالإظهار وأصحاب هذا الرأي هم من قالوا أن (كاد) موضوع للمقاربة فقط من غير بيان النفي والإثبات[٣]. فمعنى ذلك أن أمر البت في حصول مضمون خبر (كاد) أو عدم حصوله يبقى مرهونًا بقرينة دالة ، و (كاد) بحد ذاتها لا تنهض ببيان النفي أو الإثبات .

---

[١] القرطبي ، محمد بن أحمد النصاري الفرطبي ، تفسير القرطبي ، دار الفكر، ج ١١ ، ص ١٠٢.
[٢] ابن عاشور . التحرير والتنوير دار سحنون ج ، ١٧ ، ص ٢٠٢.
[٣] الرازي ج ٢٢ص ٢٠ ، وانظر القرطبي ، محمد بن أحمد النصاري الفرطبي ، تفسير القرطبي ، دار الفكر،ج ١١ ، ص ١٠٤.

ثانيًا : أن كاد من الله واجب فمعنى قوله :(أَكَادُ أُخْفِيهَا) أي أنا أخفيها عن الخلق[١]. ويعلل الرازي الحكمة من الإخفاء بقوله : (ما الحكمة في إخفاء الساعة وإخفاء وقت الموت ؟ الجواب : لأن الله تعالى وعد قبول التوبة فلو عرف وقت الموت لاشتغل بالمعصية إلى قريب من ذلك الوقت ثم يتوب فيتخلص من عقاب المعصية فتعريف وقت الموت كالإغراء بفعل المعصية ، وإنه لا يجوز)[٢] . وفي هذا التفسير نرى أنّ معنى المقاربة في (كاد) قد علق ، أو عطل.

ثالثًا : (أكاد) بمعنى أريد , ومنه قوله تعالى : (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) (٧٦/ يوسف :) ومن أمثالهم المتداولة لا أفعل ذلك ولا أكاد أي ولا أريد أن أفعله .[٣] وهنا قد فُزع إلى معنى ثانوي لـ (كاد) بدلا عن الدلالة المركزية .

رابعًا : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) أي :أكاد أخفيها من نفسي " فكيف أعلنها لكم ، واعتُرض بأن هذا بعيد ؛ لأن الإخفاء إنما يصح فيمن يصلح له الإظهار وذلك مستحيل على الله تعالى ؛ لأن كل معلومٍ معلومٌ له فالإظهار والإسرار منه مستحيل ، ويمكن أن يجاب عنه بأن ذلك واقع على التقدير يعني لو صح مني إخفاؤه على نفسي لأخفيته عني ، والإخفاء وإن كان محالا في نفسه إلا أنه لا يمتنع أن يذكر ذلك على هذا التقدير مبالغة في عدم إطلاع الغير عليه ، قال قطرب :هذا على عادة العرب في مخاطبة بعضهم بعضا يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء : كتمته حتى من نفسي فالله تعالى بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب في مثله[٤].

وخامسها : " أكاد " صلة في الكلام والمعنى : (إن الساعة آتية أخفيها)[٥]أنا أخفيها فلا تأتي إلا بغتة ، أي أن (كاد) زائدة [٦].

وسادسها : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) إي:أكاد أزيل عنها إخفاءها ؛ بمعنى أكاد أظهرها ؛ لأن أفعل قد يأتي بمعنى السلب والنفي كقولك أعجمت الكتاب وأشكلته أي أزلت عجمته وإشكاله ، وأشكيته أي أزلت شكواه [١] .

---

[١] الرازي ، ج ٢٢ ص ٢٠ ، وأبا حيان ، أثير الدين بن يوسف ، البحر المحيط ، دار إحياء التراث ، ج ٦ ،ص ٢٣٣.

[٢] الرازي ج ٢٢ ، ص ٢٢، وانظر القرطبي ص ١٠٥.

[٣] انظر الرازي ، ج ٢٢، ص ٢٠ والقرطبي ج ١١ ، ص ١٠٣، والطبري ، محمد بن جرير ، تفسير القرآن ، دار المعارف ج ١٨ ، ص ٢٨٩ وانظر البغوي ، ج ٥ ، ص ٢٦٩.

[٤] انظرالرازي ، ج ٢٢، ص ٢١ ، والطبري ، ج ١٨ ، ٢٨٦ ، وأبا حيان ، ج ٦ ، ص ٢٣٤، والبغوي ، الحسين بن علي ، تفسير البغوي ، دار طيبة ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ ، والشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية، دار المعرفة ، ١٤٢٣ ه ـ ٢٠٠٤ م ، ص ٩٠٦.

[٥] الرازي ، ج ٢٢ ،ص ٢١ ، وانظر البغوي ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ .

[٦] انظر ابن عاشور ، ج ١٧ ، ص ٢٠٢.

وسابعها: قرئ أخفيها بفتح الألف أي: أكاد أظهرها، من خفاه إذا أظهره،أي قرب إظهاره[٢]،قال امرؤ القيس :

فإنْ تَدْفِنوا الدّاءَ لا نُخْفِه وإنْ تَمْنَعوا الحربَ لا نَقْعدِ

أي لا نظهره . قال الزجاج: وهذه القراءة أبين ؛ لأن معنى أكاد أظهرها يفيد أنه قد أخفاها[٣].

وثامنها : إن الساعة آتية أكاد، انقطع الكلام على أكاد، وبعده مضمر: أكاد آتي بها ، والابتداء: أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى [٤]. وهو قول مقبول بالنظر إلى ما عرف عن العرب من ميلهم للحذف حيثما أمكن ذلك ، والقرآن جاء محاكيا أساليبهم فيما درجوا عليه . إذن نلحظ أنّ (كاد) في التفسير الأول والتفسيرات الثلاثة الأخيرة بقيت على دلالتها في القرب ،والاختلاف كان في تفسير معنى الفعل (أخفي).

ثانيا : قال تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (٤٠/النور) ومما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة :(هذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار ، في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها ، وعلى غير هدى ، مثل ظلمات في بحر لجي ، ونسب البحر إلى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء ، ولجة البحر معظمه (يَغْشَاهُ مَوْجٌ) يقول : يغشى البحر موج (مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ) يقول : من فوق الموج موج آخر يغشاه ، (مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ) يقول : من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب ، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم ، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر ، يقول : عمل بنية قلب قد غمره الجهل ، وتغشته الضلال والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات ، يغشاه الجهل بالله ، بأن الله ختم عليه ، فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه ، فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض . (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) أي : إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات لم يكد يراها [٥]. ومن التساؤلات التي دارت حول هذه الآية ما أورده

---

[١] انظر الرازي ج ٢٢ ،ص ٢١ وأبا حيان ، ج ٦ ، ص ٣٣٢ ، والشوكاني ، ج ١ ، ص ٩٠٦.
[٢] انظر الرازي ج ٢٢، ص ٢١ ، وانظر البغوي ، ج ٥ ، ص ٢٦٩.
[٣] انظر الرازي،ج٢٢ ، ص ٢١ ، وانظر ابن عاشور ج ١٧ ، ص ٢٠٣ ، وأبا حيان ج ٦ ، ص ٢٣٣ .
[٤] انظر القرطبي ، ج ١١ ، ص ١٠٤ ، والرازي ج٢٢، ص ٢١ .
[٥] انظر الطبري ، ج ١٩ ، ص ١٩٩.

الطبري(ت ٣١٠هـ) ، وهو ممن يرى أن (كاد) المنفية تفيد وقوع مضمون خبرها :(فإن قال لنا قائل : وكيف قيل (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) مع شدة هذه الظلمة التي وصف ، وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا ، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ، ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه ، فكيف فيها ؟) [١].

وقد تباين تفسيرالعلماء من حيث نفي الرؤية وإثباتها ؛ أما الذين قالوا بأن الناظر لا يرى يده ، ففريق منهم علل بأن (كاد معناه المقاربة فقوله : (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) معناه لم يقارب الوقوع ومعلوم أن الذي لم يقارب الوقوع لم يقع أيضا وهذا القول هو المختار أي أنه لم يرها ، ولم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة [٢].

وفريق رأى أن (كاد) هنا بدلالة (ظن) الدالة على اليقين ، (ويكون قوله (لَمْ يَكَد) في دخوله في الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام،كقوله:(وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) (٤٨)فصلت) [٣]

ورأى فريق آخر أنها صلة ، أو زائدة ، أي لم يرها ؛ كما تقول : ما كدت أعرفه[٤]

في حين ذهب بعض المفسرين إلى أنه رآها، وهم ممن قالوا إن (كاد) نفيه إثبات وإثباته نفي محتجين بقوله تعالى : (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ٧١ / البقرة) فقد رأوا أن فيه نفي في اللفظ ، ولكنه إثبات في المعنى ،لأنهم فعلوا ذلك ، أي فعلوا الذبح .على عكس ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام» :كاد الفقر أن يكون كفرا» إذ إن فيه إثبات في اللفظ لكنه نفي في المعنى لأنه لم يكفر فكذا ههنا قوله: {لم يكد يراها } معناه أنه رآها. [٥]

وقد ضعف الرازي (ت ٦٠٦هـ) هذا الرأي من وجهين ؛(الأول: أن ما يكون أقل من هذه الظلمات فإنه لا يرى فيه شيء ، فكيف مع هذه الظلمات. الثاني: أن المقصود من هذا التمثيل المبالغة في جهالة الكفار وذلك إنما يحصل إذا لم توجد الرؤية ألبتة مع هذه الظلمات) [٦]. وذكر بعضهم أن الرؤية واقعة بعد بطء وجهد ، كما يقول القائل لآخر : ما كدت أراك من الظلمة ، وقد رآه ، ولكن بعد إياس وشدة . وهذا القول كما يرى الطبري (أظهر معاني الكلمة من

---

[١] المصدر السابق ، ج ١٩ ، ص ١٩٩.
[٢] انظرالقرطبي ج ١٢ ، ص ٢٦٥ ، والطبري ، ج ١٩ ، ص ١٩٩ ، والبغوي ، ج ٦ ، ص ٥٢، والشوكاني ، ص ١٠١٨ ، والرازي ، ج ٢٥ ، ص ١٣.
[٣] الطبري ، ج ١٩ ، ص١٩٩ .وانظر القرطبي ، ج ١٢ ، ص ٢٦٥ ، والبغوي ، ج ٦ ، ص ٥٣.
[٤] القرطبي ، ج ١٢ ، ص ٢٦٥ ، وانظر البغوي ، ج ٦ ، ص ٥٣ ، والشوكاني ، ص ١٠١٩.
[٥] انظر الرازي ، ج ٢٥ ، ص١٢.
[٦] المصدر السابق ، ج ٢٥ ، ص ١٣.

جهة ما تستعمل العرب أكاد في كلامها)[1] وقد رد أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) هذا المعنى لـ (كاد) (وقول من اعتقد زيادة) يكد (أو أنه يراها بعد عسر ليس بصحيح)[2][3].

ولعل القول الأول ؛ (أنه لا يراها) هو الأقرب للقبول ، إذ تقدم قوله تعالى : (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) فعدم رؤية اليد تُكمل صورة شدة الظلمات وشدة حلكتها ، وإلا ، فإن كان يراها ، فهذا مما يشي بأنها ليست شديدة الظلمة والحلكة ، ثم ما العبرة من الإتيان بهذا التمثيل برؤية اليد ، إن كانت تُرى ؟

---

[1] الطبري ، ج ١٩ ، ص ١٩٩.
[2] أبو حيان ، ج ٦ ، ص ٤٦٢.
[3] أبو حيان ، ج ٦ ، ص ٤٦٢

المبحث الثالث
دور القرينة في توجيه دلالة (كاد)

وللقرينة دور ظاهر يعوّل عليه في توجيه المعنى في (كاد) في كثير من المواضع التي تلتبس فيها دلالتها ، يقول الرازي : (كاد) موضوع للمقاربة فقط من غير بيان النفي والإثبات فقوله :(أَكَادُ أُخْفِيهَا) معناه قرب الأمر فيه من الإخفاء وأما أنه هل حصل ذلك الإخفاء أو ما حصل فذلك غير مستفاد من اللفظ بل من قرينة قوله (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) ،فإن ذلك إنما يليق بالإخفاء لا بالإظهار[1].

وقد تكون هذه القرينة لفظية نحو (فَذَبَحُوهَا) كما في قوله تعالى : (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)، أو (هبّ) في قولك : (هبّ الجميع يسلّم على أحمد وما كاد يصل)

وقد تكون قرينة من سياق الحال ، من نحو حال المتكلم ، أو حال المخاطب ، أو الحال المشاهدة .

أما حال المتكلم كأن يقول أحدهم : (ما كدت أنجو من الموت) وقد نجا . وأما حال المخاطب كأن تقول لأحدهم وقد أحرز المرتبة الأولى في مسابقة ما : (ما كدت تصل لهذه المرتبة)، أو ترى حاجًا وقد عاد من حجه ، فتقول له : (ما كدت ترى مكة هذا العام) وقد رآها . ومن الحال المشاهدة أن ترى أمّا تقول لابنها : (ما كدت أعرفك يا بني بزيك العسكري هذا) وقد عرفته . أو قرينة من مقتضيات المحيط الخارجي للغة نحو قولك : (لا أكاد أجد لي موطىء قدم في هذا الازدحام) والحقيقة أنك واجد موطىء القدم ، وإلا فأين تقف ؟ و (لا أكاد أجد هواء أتنفسه في هذه الغرفة الضيقة) وهو واجد هواء في الحقيقة ، وإلا لكان في عداد الأموات .

دلالة**" كاد " المنفية بلا قرينة :**

وماذا عن دلالة " كاد"المنفية في الاستعمال الجاري في يومنا هذا في حال عدم توافر قرينة ،هل دلالتها واضحة في نفوس الناس وأذهانهم ، وأمرها محسوم لديهم من حيث الإثبات أو النفي ؟

في استطلاع تم فيه توجيه سؤال لسبع وعشرين عضوة هيئة تدريس متخصصة في علوم اللغة العربية ، في جامعة حائل بشأن ما يدل عليه قولنا :

---

[1] انظر الرازي ، فخر الدين أبو عبدالله ، محمد بن عمر بن حسين القرشي، التفسير الكبير ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م درا الكتب العلمية ، بيروت ج ٢٢ ، ص ٢٠.

(عمرو لا يكاد يفهم ما يقرأ) ، أي :هل عمرو يفهم ما يقرأ، أم لا يفهم ما يقرأ ؟ كانت الدهشة أول ما يرتسم على الوجوه في اللحظات الأولى من سماع السؤال.ثم تبدأ عملية التفكير المشوبة بالحيرة ، وتنتهي بإجابة يحيطها التردد ، وعدم القناعة أحيانًا. ولم تتمكن أي واحدة ممن وجه لهن السؤال أن تحسم أمر الدلالة في هذه العبارة بسرعة وبثقة .

وقد جاءت الإجابات على النحو الآتي:سبع إجابات تقول: (عمرو لا يفهم ما يقرأ) أي بنسبة ٢٥،٩٢% .

وثماني عشرةإجابة تقول : (عمرو يفهم ما يقرأ بصعوبة) أي بنسبة ٦٦،٦٦% .

وإجابتان تقولان : العبارة تحتمل الاحتمالين : (عمرو يفهم) و (عمرو لا يفهم) أي بنسبة ٧،٤٠% .

ولعل هذا الاستطلاع الذي جرى مع فئة متخصصة بعلوم اللغة العربية – وإن كانت قليلة العدد - يعطينا مؤشرًا دالًا إلى حد ما ،على اللبس والغموض الذي يكتنف دلالة " كاد " في أذهان الناس .

وربما أحد أسباب هذا اللبس في دلالة " كاد " المنفية يعود إلى ميل الناس ، إن أرادوا نفي الفعل ،إلى الإفصاح عن نفيه مباشرة ، نحو : (عمرو لا يفهم ما يقرأ)، فينصرف الذهن عند بعضهم في حال دخول " كاد " منفية قبل الفعل إلى أن المراد هو الإشارة إلى تحقق مضمون خبرها بصعوبة ، أو بطء ، لا نفيه على الإطلاق .

الخاتمة :

وقد خلص البحث إلى ما يأتي :

١- لـ (كاد) دلالة مركزية هي: المقاربة المتضمنة نفي خبرها .
٢- لـ (كاد) دلالتان ثانويتان : الإرادة واليقين.
٣- لـ (كاد)المنفية دلالة مركزية هي: نفي المقاربة
٤- لـ (كاد) المنفية دلالة ثانوية هي : مقاربة النفي .
٥- تخضع دلالة (كاد) - أحيانًا - للقرينة في توجيه معناها من حيث إثبات مضمون خبرها ، أو نفيه.
٦- يبدو أن الناس يميلون في استعمالهم الجاري لـ (كاد) المنفية ليدلوا بها على مقاربة نفي مضمونها ، لا على نفي مقاربته .
٧- تبقى دلالة (كاد) المنفية مرشحة لنفي مضمونها أو إثباته ، ما لم تتوافر قرينة تحسم أمر المعنى، وتوجهه فيها .

إذن ، قد يبدو أنه من الصعب التضييق على (كاد) وبخاصة المنفية ، إذ إنّ أغلب اللبس يقع فيها ، وحصرها في نفي المقاربة . ولا ضير أن نوسع دائرتها بحسب ما يقتضيه توجيه القرينة لها، أو معطيات سياق الحال ، ومقتضيات المحيط الخارجي للغة .

وتبقى (كاد) تنتظر، بل تتطلب مزيدا من البحث والدراسة ، وبخاصة في واقع الاستعمال الجاري لها، مثبتة ، ومنفية ، في نصوص متنوعة ؛ من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف، ثم شعر العرب ونثرهم ، قديمًا وحديثًا . وذلك للوقوف على واقع تنظير النحاة فيها ، وعلى حقيقة الاستعمال الجاري لها ، قديمًا وحديثًا .

المصادر والمراجع :

١- البغوي،الحسين بن علي،تفسيرالبغوي ، دار طيبة .

٢- ابن عاشور،محمد بن الطاهر،التحرير والتنوير،دار سحنون .

٣- انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٦م.

٤- ابن القوطية ،أبو بكر محمد بن عمر ، كتاب الأفعال لابن القوطية ، تحقيق على فودة ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ -٢٠٠١م، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

٥- ابن مالك ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبدالله تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد،تحقيق محمد كامل بركات ، الناشر دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

٦- ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر.

٧- ابن هشام ، أبو محمد ، الأنصاري المصري، مغني اللبيب ، تحقيق مازن مبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دمشق – دار الفكر ١٩٦٩ م .

٨- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش ، شرح المفصل ، طبعة إدارة الطباعة المنيرية ، مصر .

٩- أبو حيان ، أثير الدين بن يوسف ، البحر المحيط ، دار إحياء التراث .

١٠- أبو عبيدة ،معمر بن المثنى البصري، مجاز القرآن ،تحقيق فؤاد سزكين،ط (١) ١٩٨١م،مؤسسة الرسالة بيروت.

١١- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه د . محمد التّنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م .

١٢- الرازي ، فخر الدين أبو عبدالله ، محمد بن عمر بن حسين القرشي، التفسير الكبير ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٣- انظر الرضي الاستراباذي ، محمد بن الحسن رضي الدين ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق د . يحي بشير المصري الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦ م .

١٤- الزجاجي ،أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق ، الجمل ،ط ٢ ، ١٩٥٧ – ١٣٧٦ هـ ، مطبعة كلنكسيك ،١١شارع ليل.

١٥- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، تحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة ، بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

١٦- السامرائي ، فاضل صالح ، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ،

١٧- السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،تحقيق أحمد شمس الدين ،ط (١) ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٨- الشاطبي ، أبو إسحاق بن موسى ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق محمد إبراهيم باشا ،الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، مكة المكرمة.

١٩- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية، دار المعرفة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٤م .

٢٠- الطبري،محمد بن جرير،تفسيرالقرآن دار المعارف

٢١- الفراء ،أبو زكريا يحي بن زياد ، معاني القرآن ، دار عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢٢- القرطبي ، محمد بن أحمد النصاري القرطبي ، تفسير القرطبي ، دار الفكر.

٢٣- المبرد ،أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب ، تحقيق عبد الخالق عضيمة، جمهورية مصر ، وزارة الأوقاف، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٢٤- الموصلي ، عبد العزيز بن جمعة، شرح كافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق د. علي الشوملي، دار الأمل الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م – ١٤٢١